وكل ذلك استنادا لما فهمه من نزول القرآن . ولم يحفظ عن جمهور الصحابة حين جمعوا القرآن أنهم ترددوا ولا اختلفوا في عدد سوره وأنها مائة وأربع عشرة سورة روى أصحاب السنن عن ابن عباس أن رسول ا A كان إذا نزلت الآية يقول : ضعوها في السورة التي يذكر فيها كذا وكانت السور معلومة المقادير منذ زمن النبي A محفوظة عنه في قراءة الصلاة وفي عرض القرآن فترتيب الآيات في السور هو بتوقيف من النبي A وكذلك عزا ابن عطية إلى مكي بن أبي طالب وجزم به السيوطي في الإتقان وبذلك يكون مجموع السورة من الآيات أيضا توقيفيا ولذلك نجد في الصحيح أن النبي A قرأ في الصلاة سورة كذا وسورة كذا من طوال وقصار ومن ذلك حديث صلاة الكسوف وفي الصحيح أن رجلا سأل النبي A أن يزوجه امرأة فقال له النبي : هل عندك ماتصدقها ؟ قال : لا فقال : ما معك من القرآن ؟ قال : سورة كذا وسورة كذا لسور سماها فقال " قد زوجتكها بما معك من القرآن " وسيأتي مزيد شرح لهذا الغرض عند الكلام على أسماء السور .

وفائدة التسوير ما قاله صاحب الكشاف في تفسير قوله تعالى (فأتوا بسورة من مثله) : " إن الجنس إذا انطوت تحته أنواع كان أحسن وأنبل من أن يكون ببانا واحدا وأن القارئ إذا ختم سورة أو بابا من الكتاب ثم أخذ في آخر كان أنشط له وأهز لعطفه كالمسافر إذا علم أنه قطع ميلا أو طوى فرسخا " .

وأما ترتيب السور بعضها إثر بعض فقال أبو بكر الباقلاني : يحتمل أن النبي A هو الذي أمر بترتيبها كذلك ويحتمل أن يكون ذلك من اجتهاد الصحابة وقال الداني : كان جبريل يوقف رسول ا على موضع الآية وعلى موضع السورة .

وفي المستدرك عن زيد بن ثابت أنه قال : " كنا عند رسول ا نؤلف القرآن من الرقاع " قال البيهقي : تأويله أنهم كانوا يؤلفون آيات السور . ونقل ابن عطية عن الباقلاني الجزم بأن ترتيب السور بعضها إثر بعض هو من وضع زيد بن ثابت بمشاركة عثمان قال ابن عطية : وظاهر الأثر أن السبع الطوال والحواميم والمفصل كانت مرتبة في زمن النبي A وكان من السور ما لم يرتب فذلك هو الذي رتب وقت كتابة المصحف .

أقول : لا شك أن طوائف من سور القرآن كانت مرتبة في زمن النبي A على ترتيبها في المصحف الذي بأيدينا اليوم الذي هو نسخة من المصحف الإمام الذي جمع وكتب في خلافة أبي بكر الصديق ووزعت على الأمصار نسخ منه في خلافة عثمان ذي النورين فلا شك في أن سور المفصل كانت هي آخر القرآن ولذلك كانت سنة قراءة السورة في الصلوات المفروضة أن يكون في بعض

الصلوات من طوال المفصل وفي بعضها من وسط المفصل وفي بعضها من قصار المفصل . وأن طائفة السور الطولي الأوائل في المصحف كانت مرتبة في زمن النبي A أول القرآن . والاحتمال فيما عدا ذلك .

وأقول : لا شك في أن زيد بن ثابت وعثمان بن عفان وهما من أكبر حفاظ القرآن من الصحابة توخيا ما استطاعا ترتيب قراءة النبي A للسور وترتيب قراءة الحفاظ التي لا تخفى على رسول ا A وكان زيد بن ثابت من أكبر حفاظ القرآن وقد لازم النبي A مدة حياته بالمدينة ولم يتردد في ترتيب سور القرآن على نحو ما كان يقرؤها النبي A حين نسخ المصاحف في زمن عثمان . ذلك أن القرآن حين جمع في خلافة أبي بكر لم يجمع في مصحف مرتب وإنما جعلوا لكل سورة صحيفة مفردة ولذلك عبروا عنها بالصحف وفي موطأ ابن وهب عن مالك أن ابن عمر قال " جمع أبو بكر القرآن في قراطيس " . وكانت تلك الصحف عند أبي بكر ثم عند عمر ثم عند حفصة بنت عمر أم المؤمنين بسبب أنها كانت وصية أبيها على تركته فلما أراد عثمان جمع القرآن في مصحف واحد أرسل إلى حفصة فأرسلت بها إليه ولما نسخت في مصحف واحد أرجع الصحف إليها قال في فتح الباري : " وهذا وقع في رواية عمارة ابن غزية أن زيد بن ثابت قال : أمرني أبو بكر فكتبت في قطع الأديم والعسب فلما هلك أبو بكر وكان عمر كتبت ذلك في صحيفة واحدة فكانت عنده " والأصح أن القرآن جمع في زمن أبي بكر في مصحف واحد .

A E